بين المشادة والتراخي في الدين

الأخ ح. زين العابدين

عجيب أمر هؤلاء الشباب الذين يتحمسون تارة للإسلام وللدعوة ويكلفون أنفسهم مـــا لا طاقـــة لهـــم بـــه ، ويتذمّرون من عدم اندفاع إخوانهم للعمل بطريقتهم والسير على نهجهم ، ويصفونهم بالتقاعس واللامبالاة وأنهـــم لا يصلحون كدعاة ، فترى الشاب منهم قد لا ينقطع عن صيام أو قيام ولا يقصر في أي عمل إسلامي ، ويكون ذلك دون شك على حساب كثير من الأمور الأخرى التي هي في نظر الإسلام عبادة من العبادات كبقية الأعمال إنْ قصد بها وجه الله والرغبة في التقرب إليه ، فيكون ذلك مثلاً على حساب الزوجة والأطفال إن كان الشاب متزوجاً ، وقد يكون على حساب الدراسة أو الوظيفة .. إلخ ..

أما الغريب في الأمر ، فهو عندما تجد هؤلاء الإخوة أنفسهم إذا مر بهم ظرف معين أو مشكلة مستعصية أو مأزق صعب أو أنهم ملّوا الطريق أو استطالوه إلى غير ذلك من الأمور التي تحدث عادة عندما يكلّف الإنسان نفسه فوق ما تطيق .. ترى هؤلاء الشباب ينقلبون رأساً على عقب ، فيخفضون نشاطهم من 100% إلى 10% ، لا يرجعون إلى التوسط ، ولا يقبلون بالمعقول ، ولا ينـــزلون إلى القدر المناسب من العمل ، وإنما هم يهاجمون إخوانهم بنفس النمط السابق ، ويتهمونهم بتحميل الإخوَة فوق ما يستطيعون ، وبالتعنت والتشدد وتنفير الإخوة من الإســـلام ، إلى غـــير ذلك من النقيض لقولهم السابق ..

إن الإسلام لا يقبل هذا التذبذب الكبير ، فلقد حاول شباب على عهد رسول الله ﷺ أن يصوموا فلا يفطروا أو يقوموا الليل أبداً ، أو يعتزلوا النساء فلا يتزوجوا أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « **أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِـــبَ عَـــنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** » رواه البخاري .

وقال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْـــتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ** » رواه البخاري .

صعب عليك أن تخاطب مثل هؤلاء الشباب في أوج تحمسهم في الفترتين المختلفتين ، فإن أنت حاورتهم في حالهم الأولى ظهرتَ وكأنك تقلل من المسؤولية الكبيرة الواقعة على عاتقهم ، وإن أنت خاطبتهم عن وضعهم الثاني ظهرتَ لهم وكأنك متنطع متشدد مبالغ

إنّ الإسلام واضح بيّن في مثل هذه الأمور ، يريد التوسط وأن يأخذ المسلم من العمل ما يطيق ، ومعناه مــدى الطاقة التي يستطيعها ذاك الفرد بذاته ، وما أوسع مداها .. ولكن هذا لا يعني على كل حال أن تأخذ من الأعمــال فوق ما تطيق

إنّ خطورة الأمر تقع فعلاً عندما يمارس هذا التأرجحَ إخوةٌ ممن هم في موضع المسؤولية ، أو هم في واجهة العمل ، أو ممّن يُقتدى ويُحتذى بهم ، فيتخبط على إثرهم إخوة لنا يسيرون في أول الطريق . إنّ الإسلام يراعي الظــروف التي تمر بفرد من أفراده في وقت من الأوقات ، والله سبحانه وتعالى يقبل العذر ويغفر الذنوب ، فــإذا وقــع أخ في مشكلة معينة ، فالأجدر به أن يشرح لإخوانه الظروف التي تسببت في انقطاعه عن نشاط أو آخر ، أو تقــصيره في مجال من المجالات ، ولا يدع الظرف أو المشكلة تسيطر عليه بحيث يغير فكرته ومبدأه ، فالأفكار والمبادئ لا تــتغير لطارئ يطرأ على أخ معيّن ، وإنما تكون قائمة على أساس حاجات الإسلام وطاقات الإخوة جميعهم ، وفي حــدود نظام الإسلام الشامل الكامل ، ولن يعوز الشابَ المسلم الواعي المخلص أن يجد الحدّ الفاصل الشفاف بين المغالاة في العبادات ومشادة الدين وبين المسارعة والتسابق في أمور الخير وتحمل الصعاب والمشاق والواجبــات في ســبيل الله ، لنشر هذا الدين ، وأن يحقق التوازن المطلوب في جميع العبادات والأعمال من خلال معاني الآيات والأحاديث :

﴿ ... **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة : 148]

﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران : 133]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا** » رواه مسلم

« **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا** ... » رواه الترمذي

ويقول الله تعالى :

﴿ ... **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ... ﴾ [البقرة : 185]

﴿ **طه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ [طه : 1-2]

وقال ﷺ : « **عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ ، فَوَ اللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا ، وكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوِمَ صَــاحِبُهُ عَلَيْهِ** » متفق عليه

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم